الثورة ALTHAWRAH
Friday : 21 Al Qada1434 - 27 September - Jssue No. 17844

الذي زلزل عرش الطغيان والاستعمار

• صورة نادرة لرواد العمل الإذاعي وبينهم الدكتور المقالح وعبدالوهاب جحاف والفسيل

المؤيد كان المسؤول عن إذاعة البلاغات العسكرية..وحمران والفسيل وجحاف شاركوا في قراءة البيان الأول للثورة

• نموذج لخارطة البرمجة بعد إنشاء الإذاعة 1947م

بيان الثورة

صبيحة يوم الـ 26من سبتمبر وبعد بدء البث من الإذاعة كما يقول عبد الله حمران في شهادته وصل المدير العام الأستاذ احمد المروني الذي تحول إلى ضابط في غرفة عمليات عسكرية فقد كان يصوغ بعض البلاغات في ذلك الصباح ويعرضها على المجلس بواسطة التلفون ويبلغها للأخ علي قاسم المؤيد لإذاعتها وفي حوالي الساعة العاشرة أو العاشرة والنصف قام الأخ محمد الفسيل يطلب وبإلحاح بيان الثورة ليذيعه وكان البيان لدى عبدالوهاب جحاف كما علمت أخيرا فرفض الأخ عبدالوهاب، وقال: أن المسؤول عن إذاعة البيان الأول للثورة وكل البلاغات والبيانات العسكرية هو علي قاسم المؤيد وبدأ السماح للإخوة الزملاء بدخول الاستديو ليؤدوا واجبهم ويشاركون في إذاعة البرقيات وسمح لمحمد الشرفي بإذاعة قصيدة.

محاولة يائسة

في حدود الساعة الحادية عشرة والنصف أو الثانية عشرة ظهراً بدأ إطلاق النار على الإذاعة من بيت الحسين بن يحيى حميد الدين ومن بيت العباس - مجلس الوزراء حاليا - ولكن الرشاشات التي كانت مع حامية الإذاعة أسكتت تلك الطلقات، لكن علي بن حميد الدين صاحب دار الحمد بدأ يطلق النار على الإذاعة فرد عليه عبدالله عبدالسلام صبرة بطلقة من الدبابة اخترقت جدار الطابق الثالث وشرخت المحول الإذاعي الذي كان بجانب سور الإذاعة من الجهة الجنوبية فرفع علي بن يحيى حميد الدين علماً ابيض دليل استسلامه وذهبت مجموعة من جنود الثورة للقبض عليه، وبالنسبة للعقيد حسن العمري الذي كان، قد نقل من مبنى المولد إلى مكان صغير كان يجلس فيه بجانب باب الإذاعة واللاسلكي الشاوش حمود الاشموري وأحضروا له أحد الصحيين »احمد عوض« فأعطاه علاجاً وضرب له (حقنة عضلية بنسلين) وتماثل للشفاء بسرعة.

ظلت الإذاعة تعمل إلى ما بعد الساعة الثانية عشرة ظهراً ثم أغلقت تخفيفاً على الأجهزة واحضر لنا الشهيد الملازم محمد الوادعي الغداء من دار الضيافة واستأنفت الإذاعة البث وظل الإخوة الزملاء جميعاً يواصلون العمل بالتعاقب.

حصار صنعاء والدور الخالد للإذاعة

أخذت إذاعة صنعاء تبث برامجها الرمضانية كعادتها بأجوائها الروحانية، وكانت الساعة الرابعة عصراً، وفجأة قطع سكون الأصيل حنين أول قذيفة صاروخية موجهة من جبل الطويل شرق مدينة صنعاء نحو الإذاعة لإسكات صوت الجمهورية، واخماد الثورة ..تجاوزت القذيفة الأولى مبنى الإذاعة الصغير بثلاثين متراً، ثم توالت الهجمات الصاروخية على الإذاعة فكانت تسقط في وسط البساتين القريبة من الإذاعة، كبستان رئاسة مجلس الوزراء ومنها خلف دار الحمد الذي كان يومها »ورشة صيانة الاسلحة«.

وفي عشية يوم القصف توقع عدد ممن كانوا في العاصمة أن المدينة »صنعاء« أصبحت محاصرة وانها على مرمى مدفعية الملكية وانها ستضرب لا محالة من الجبال المحصنة المحيطة بها بهدف اسقاطها بين عشية وضحاها، يقول عبدالعزيز شايف وعبد الكريم الشرجبي00كنا جميعاً نرابط في الإذاعة ليل نهار، مع الحراسة وطلاب من الكلية الحربية. وقد تجاوز عدد القذائف التي استهدفت الإذاعة بداية الحصار 375 قذيفة بمدفعية الهاورز.

فالحرب من أول ايام الثورة لم تتوقف بين الملكيين والجمهوريين.. وكانت المحطة الاخيرة للحرب الأشد (ضرب صنعاء ومحاصرتها) .. وكانت الإذاعة في خطتهم هي الهدف الأول والرئيسي، فوجد المغامرون وبينهم خبراء أجانب من المأجورين ان أنسب فرصة لتحقيق النصر - حسب توقعهم - شهر رمضان المبارك فرمضان الكريم سيكون النصر وذلك باستغلال العواطف الدينية.

وكان شعارهم المسموع من اذاعتهم صوت زوامل (لا بُدّ من صنعاء ومن فيها) مركزين في برامجهم والتعليقات على أن في صنعاء من الملحدين والكفرة وان موتهم في هذا الشهر فضيلة.

قذائف لا تتوقف

توالت القذائف الصاروخية في رمضان على مبنى الإذاعة كما يقول شايف والشرجبي بشكل مستمر من مختلف المواقع المحيطة بصنعاء، وكان الوقت المناسب للضرب، من الساعة الرابعة والنصف إلى وقت المغيب، ويتوقف ليلا حتى لا تنكشف مواقعهم في المخابئ وفي الكهوف والملاجئ الجبلية، لكن الإذاعة كانت صامدة وتبث برامجها بصورة طبيعية وكانت تركز على إذاعة برامج وأحاديثا وتعليقات موضوعية صادقة وهادفة لتعلم الآخرين بالحقيقة في الداخل والخارج.. وان جماهير الشعب مع الجيش والأمن والمقاومة الشعبية تقف وقفة دفاع وصمود واستبسال لحماية الثورة والجمهورية من أي مساس، شعارها (الجمهورية أو الموت) وشعار الجانب الملكي (لا بد من صنعاء ومن فيها).....

في يوم الثلاثين من نوفمبر1967 م الذي نال فيه الشطر الجنوبي من الوطن استقلاله وتم جلاء آخر جندي بريطاني من عدن.كانت إذاعة صنعاء تبارك بأناشيد النصر واقتراب وحدة الشطرين. وفي هذا الوقت العصيب، وصنعاء تئن تحت نيران الحصار كان هناك عدد قليل ممن ساورتهم الشكوك باستمرار الصمود وذلك بفعل الدعايات والحرب النفسية عن قرب سقوط صنعاء خاصة بعد انسحاب القوات المصرية ونكسة حزيران، فالذين أصيبوا بيأس تنبهوا للحقيقة، حين اشتد الضرب على صنعاء الصامدة، و استمر سماعهم للإذاعة التي لم تسكتها كثافة المدافع الصاروخية طوال ايام الحصار.

فقد كانت إذاعة صنعاء وبعدها الإذاعة في تعز من أهم الوسائل الاتصالية داخليا وخارجياً والاكثر انتشاراً في المدن والارياف وأبلغ تأثيراً لأن الوسائل الإعلامية الأخرى ومنها المقروءة محدودة الانتشار، فكان 80٪ إلى 90٪ يتابعون عن كثب منذ قيام الثورة وخاصة أيام السبعين يتابعون الإذاعة من افتتاحها حتى الليل، حيث اسهمت الإذاعة بدور كبير في الصمود وفي تعزيز الاصطفاف والتلاحم بين قوات الجيش المدافعة عن الثورة وبين المقاومة الشعبية من خلال دورها التنويري عبر برامجها الفنية والاجتماعية والتثقيفية وشعاراتها الحماسية التي لم تنظفئ للاحرار والمواطنين للقيام بالواجب الوطني والتصدي لكل من يريد اطفاء وهج الثورة ..

خطة بديلة

عندما اشتد الحصار على صنعاء، وضعت القيادة الإعلامية خطة بديلة في حال توقفت إذاعة صنعاء بالقصف، وكانت إذاعة تعز هي المحطة الرديفة،وقرر ان يكون الشعار: (هنا إذاعة الجمهورية العربية اليمنية من صنعاء وتعز) فأحيل عدد من مذيعي صنعاء الكبار كالاستاذ احمد الرعيني إلى تعز فهو ابرز قراء نشرات الاخبار وآخرين معه ولم يحدث ان توقف الإرسال أو اوقفته كثافة القذائف لساعات إلا يوم الاربعاء1 يناير1968 م عندما سقطت على الإذاعة 14 قذيفة كادت ان تقصف مواقع الإرسال فتمزقت الاسلاك الكهربائية الموصلة من الاستديوهات للإرسال لعشرين دقيقة فقط حتى هب المهندسون بشجاعة نادرة تحت وابل القذائف وانتقل المذيع وضابط الصوت إلى ملجأ تحت الأرض أوصل المهندسون -سريعا- الأسلاك وإصلاح العطب وتواصل الإرسال.

وكان الاعتذار كالآتي: (نأسف مستمعينا الكرام على هذا الانقطاع المفاجئ نظرا لانخفاض التيار الكهربائي والآن نواصل إرسالنا على الهواء)

أما الجانب الملكي فكان توقعه عند سقوط14 قذيفة في ساعات على الإذاعة انها ستقف نهائيا أو سيصاب كل من فيها بالذعر والهلع.. أو اللجوء إلى تقديم أناشيد حماسية لكن كان العكس، كانت السياسة الإعلامية حكيمة وكأن شيئاً لم يكن، فالإذاعة ايام السبعين لم تلجأ إلى تغيير المواد اليومية والبرامج المعتادة ونفس تقديم الاغاني الموضوعية والعاطفية.. حتى إذا ما سمع حنة القذيفة في الجو يقولون في المقايل أكيد انها على الإذاعة واذا ما فتحوا الراديو لا يسمعون إلا اغان عاطفية أو زراعية مثل اغنية الحارثي (يا شمس عز الظهر هوني قليل خفي على الزارع شوية) وهي من كلمات مطهر الارياني.

كما توالت القصائد الغنائية الرائعة للفضول/ عبدالله عبدالوهاب وسعيد الشيباني، وعبدالله سلام ناجي، وعلي صبرة، ومحمد سعيد جراده، ولطفي أمان، وآخرين من الأدباء المبدعين.

ومن ابرز البرامج التي قدمتها الإذاعة كما يقول عبد العزيز شايف خلال حصار السبعين برامج موجهة باللهجة الشعبية وباسلوب السخرية كبرنامج (صالح علي) الذي كان يقدمه يومياً الاستاذ حمود زيد عيسى، وبرنامج آخر لمحمد حسين الشرفي و(الجد تاريخ) لمحمد عبدالله البابلي، إلى جانب برامج صباحية منوعة تقدم مع الشروق تفتح النفس مع تناول كأس البن الصباحي مثل برنامج (أفراح) وبرنامج حكايات وقصص بطولية. بالاضافة إلى التعليقات السياسية التي كانت تقدم يومياً كانت مواضيعها حول المواقف الوطنية المشرفة والمواقف العميلة للجهات الخارجية.. وكانت تعليقات تلك الفترة يكتبها ابرز الشخصيات الوطنية مثل الاساتذة محمد عبده نعمان وزير الإعلام في السبعين والوكيل احمد دهمش وعبدالله حمران مدير الإذاعة وعبدالله عبدالوهاب نعمان ويوسف الشحاري الذي كانت كلماته الادبية تستفز الجانب المعادي.

حكاية أول قصيدة

وعن دور الكلمة والشعر في الإذاعة يقول الشاعر الكبير محمد الشرفي: إن الكلمة أيام الثورة أو مابعدها سواء كانت مذاعة شعراً أو نثراً كان لها فعل البندقية والدبابة والمدفع، ولها فعل السحر عند الناس. وقبل قيام الثورة باسابيع قيل أن الشرارة الاولى للثورة ستبدأ من تعز فأعددت قصيدة إسمها»أنا الشعب« وخوفاً أن لاتفوتني الفرصة - فرصة المناسبة-ولا أساهم لحظة قيامها بشيء ذهبت إلى تعز بهذه القصيدة على طائرة ولأول مرة أركبها »بقرار« لأن لدي الضغط وصنعاء لاتصلح لمن لديهم ضغط وفعلاً وافق نائب ولي العهد وذهبت إلى تعز فلم أجد شيئاً يحدث، هنالك التقيت بالزملاء ومنهم أحمد علي الوشلي وكان زميلي في نفس الشعبة بالمدرسة العلمية وأحمد الكبسي وكان في المدرسة الثانوية وآخرون مثل الأخ علي الضبعي التقيت بهم فسألتهم فلم يعطوني أي شيء ولا أي خبر، من هنالك فهمت أن الثورة لن تبدأ من هنا من تعز، وليس هنالك مايدل على ذلك رغم أنني أشك أن هناك تكتماً من قبل الزملاء في موضوع قيامها إلا أنني اقتنعت أن الثورة لن تقوم في تعز فرجعت إلى صنعاء على نفس الطائرة وقد صادف وجود المرحوم السلال الذي نزل في مهمة إلى تعز فعرضت عليه أنني أرغب في العودة إلى صنعاء فأمر بذلك ورجعت إلى صنعاء والقصيدة لازالت في جيبي، طبعاً كانت لديّ مشاعر طفولية وهو أن الثورة ستقوم في تعز وأتخيل نفسي وأنا وسط الجماهير ألقي هذه القصيدة والجماهير يحملونني فوق الأعناق بعد إلقائها، مشاعر طفولية أتخيلها حتى الآن.

عدت وكأنني أملك كنزاً في جيبي لم أفكر أنها ربما تكون سبباً في قتلي أو إعدامي أو سبباً آخر، بقيت في صنعاء اسبوعاً وبلغني أن الأمام توفي وأن البدر بدأ يأخذ البيعة من الناس ولياً للعهد حاول بعض الزملاء في الإذاعة تقديم الناس للبيعة،- لكنني- وهذا أقوله صادقاً - أنني عندما كان يدعونني بعض الزملاء إلى تقديم البيعة في دار البشائر كنت أرفض لأن الحرز أو الوقاية أو التميمة في جيبي وهو القصيدة فكنت أرفض حتى الذهاب إلى دار البشائر مع الذين كانوا يقدمون الناس للبيعة إلى ولي العهد البدر.

في تمام الساعة الرابعة أو الخامسة فجراً بدأت طلقات النار على دار البشائر عرفت أن شرارة الثورة الأولى بدأت فقمت وولعت النوارة»السراج« وأخرجت القصيدة من جيبي وقمت بنسخها لماذا؟ خوفاً عليها»من باب الاحتياط« أن لاتضيع، نسختها على ضوء النوارة الخافت ووضعتها لدى صديقي حمود عباس الشامي وقلت له هذه القصيدة أمانة لديك إذا حصل لي شيء أحتفظ بها فسخر مني لأنه كان غير راض بثورة ضد الإمام والبدر، ذهبت إلى الإذاعة وكانت الشوارع خالية من المارة لأنه قد أعلن حظر التجول حيث والناس لايعرفون مامعنى حظر التجول، وجدت في كل الطريق من قاع العلفي حتى الإذاعة وجدت عسكرياً واحداً فقط يمشي قرب رئاسة الوزراء لم يكلمني ولم أكلمه، دخلت الإذاعة وعند باب السور الخارجي كانت الساعة التاسعة إلا ربع فوجدت الملازم أحمد الناصر وكنت أعرفه من قبل لأنه هو والأخ علي قاسم المؤيد زملاء ويظهران دائماً بجانب البدر لأنهما من أوائل الخريجين من الكلية الحربية فلم يكلمني ودخلت وهو ساكت دخلت إلى المبنى الأبيض الذي تقع فيه الإدارة فوجدت في مكتب المدير الملازم صالح علي الأشول، فقلت له لدي قصيدة، فقال لي: إنتظر لقد أرسلنا مصفحة للأستاذ أحمد المروني، وأحمد المروني -رحمه الله- كان مديراً للإذاعة قبل يوم الخميس»يوم قيام الثورة« وكان على صلة كبيرة بالضباط الأحرار ومركوناً عليه، فلم يوجد إلا هو في تلك الساعة، فانتظرت بقصيدتي حتى جاء المروني وجلس على كرسيه فقدمت له القصيدة فقرأها ووضعها أمامه فشككت في الأمر لماذا يضع قصيدتي وهي قصيدة في الثورة، بينما أتيحت الفرصة لكثير من المذيعين يقرأون أشعاراً محفوظة ليست من أشعارهم، هل لأن قصيدتي ضعيفة أو ليست صالحة لأن تذاع، كنت أكلم نفسي، لم يكن هاجسي شيء غير أنها لم تكن لائقة بالمقام في تلك الساعة، لكن أتضح لي فيما بعد أنه مازال في هذا تهيئة لعمل جديد لأن تلك الساعة كانت عصيبة ولم يتضح لي إلا الآن، رغم أني أشاهد المشهد وكأنه الآن، إنه كان يتروى فيما يمكن أن يوافق عليه فيما يذاع لأنه لاحظ مثلي أن هناك كلاماً يقال ليس منظماً بل إرتجالاً، بعدها وبتوجيه من المدير الاستاذ أحمد حسين المروني أذعتها كاملة وهي أول قصيدة في صباح يوم الثورة وتقريباً أذيعت في تمام الساعة التاسعة والنصف صباح يوم الثورة ..

أول جهاز إذاعي ومائة الف وثيقة

كانت إذاعة صنعاء البشير الأول لميلاد ثورة 26سبتمبر ولاتزال الساعات الأولى لبث ميكرفون الإذاعة صبيحة يوم السادس والعشرين موثقة في متحف الإذاعة واستمعنا إلى البيان الأول للثورة وعدد من الفقرات التي قدمت حينها بشكل مرتجل وحماسي .. كما اطلعنا مسؤول الارشيف والمتحف الاذاعي الاخ خالد جار الله على أول جهاز اذاعي لا يزال باقيا حتى اليوم وعلى الميكرفون الذي من خلاله تم إذاعة بيان الثورة واهدفها وعلى التلفون الذي كان يتم التواصل عبره مع قيادة الثورة وصياغة الفقرات والبيانات القصيرة (فلاشات) وعلى أجهزة الارسال والبث حينها وعلى أول ماكسر اذاعي وكذلك على أجهزة البث الاذاعي المتطورة حينها والتي كانت في حوزة الملكيين ويبثون عبرها بيانات وبرامج معادية للثورة، وكيف كان يتم صياغة البرامج حينها والمنهج البرامجي والنشرات الاخبارية وصور المذيعين والمعدين .. كما تحتفظ الإذاعة بارشيف ضخم يضم اكثر من 100 ألف وثيقة يعود تاريخها إلى الاحتلال العثماني لليمن تم استخراجها وجمعها وارشفتها كما يقول خالد جار الله بشكل منظم وممنهج عام 2005بعد جهد كبير وعمل مضن وشاق استمر أكثر من عام لأن معظم الوثائق القديمة كانت آيلة للتلاشي والاندثار.

لدى الاذاعة إرشيف يضم أكثر من 100 ألف وثيقة يعود تاريخها إلى عهد الاحتلال العثماني لليمن

• أول جهاز إذاعي «مكسر»

• جهاز مكسر لتسجيل وبث البرامج الإذاعية